ثم زعم أن زهده لم يكن قصدا ولو قدر على الطيبات لأكلها وذكر
البدر الزركشي عن بعض الفقهاء المتأخرين أنه كان يقول لم يكن النبي
صلى الله عليه وسلم فقيرا من المال قط ولا حاله حال فقير بل كان أغنى
الناس بالله قد كفي أمر دنياه في نفسه وعياله وكان يقول في
قوله صلى الله عليه وسلم اللهم أحيني مسكينا أن المراد به استكانة
القلب لا المسكنة التي هي أن لا يجد ما يقع موقعا من كفايته وكان
يشدد النكير على من يعتقد خلاف ذلك انتهى ولو قال المسكنة
المرادفة للفقر والمقابلة له لكان أنسب بغرضه وأما خبر
الفقر فخري وبه أفتخر فموضوع وقد صح أنه صلى الله عليه وسلم
استعاذ من فتنة الفقر كما استعاذ من فتنة الغنى فائدة
أكثر القرآن مشتمل على ذم الدنيا وصرف الخلق عنها ودعوتهم إلى
الآخرة بل هذا هو المقصود بالذات من سائر الشرائع لجميع وهي
عدوة الله لقطعها طريق الوصلة إليه ولذلك لم ينظر إليها
منذ خلقها وعدوة لأوليائه لأنها تزينت لهم بزينتها حتى
تجرعوا مرارة الصبر في مقاطعتها وعدوة لأعدائه لأنها استدرجتهم
بمكرها واقتنصتهم بشبكتها حتى وثقوا بها فخذلتهم
أحوج ما كانوا إليها وروى جماعة في قصة ثعلبة بن حاطب
الذي أنزل الله تعالى فيه ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله
لنصدقن الآيات أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو

له بأن الله يرزقه مالا فقال له صلى الله عليه وسلم قليل تؤدي
شكره خير من كثير لا تطيقه فأعاد السؤال فقال صلى الله عليه
وسلم أما لك في أسوة أما ترضى أن تكون مثل نبي الله أما والذي نفسي
بيده لو شئت أن تسير معي الجبال ذهبا وفضة لسارت الحديث
بطوله وصح أنه صلى الله عليه وسلم رأى شاة ميتة فقال والذي
نفسي بيده للدنيا أهون على الله تعالى من هذه الشاة على أهلها
ولو كانت الدنيا تعدل عند الله تعالى جناح بعوضة ما سقى
الكافر منها شربة ماء وفي الخبر الحسن الدنيا ملعونة ملعون
ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالم أو متعلم وصح أن أبا بكر
رضي الله تعالى عنه دعا بشراب فأتي بماء وعسل فبكى حتى أبكى
أصحابه ثم بكى ثم مسح عينيه فسألوه فقال كنت مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم فرأيته يدفع عن نفسه شيئا ولم أر
معه أحدا فقلت يا رسول الله ما الذي تدفع عن نفسك قال
هذه الدنيا مثلت لي فقلت لها إليك عني ثم رجعت فقالت
إنك إن أفلت مني لم يفلت مني من بعدك وصح من جملة الحديث
المشهور فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى عليكم أن
تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها
كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم تنبيه علم من الأول
أن المراد بالدنيا المذمومة في الأحاديث وغيرها ما في قوله